الانـتـقـال إلـى الوالدية هل هو مصدر للصراع الـزواجـي؟

د.نويبات قدو

جامعة قاصدي مرباح

ملخص:

إن الزواج أقدم النظم الاجتماعية، وفيه تتجسد أسمى العلاقات الإنسانية وتكاد تتفق معظم الدراسات في علم النفس على أن الإنجاب والاحتفاء بميلاد طفل هو أعظم فوائد الزواج، ومن خلال ذلك يحدث تحولا في أدوار الزوجين، ويلقى على عاتقهما عبئ مفهوم الأبوة والأمومة، وتحت الضغط الثقافي يبدأ استيعاب الدور الذي يتم تقمصه في الغالب دون إعداد مسبق، أو عناية تذكر مما يؤدي إلى إجهاد وضغط كبيرين، ومسؤوليات متزايدة تقوض تكامل الأدوار الزواجية، الأمر الذي يؤثر بشكل أو بآخر على خصائص المرحلة الثانية من عمر الزواج، مما يفتح الباب على مصراعيه أمام احتمالات الاختلال والصراع الزواجي.

Résumé:

Le mariage est le plus anciens systèmes sociaux, et il incarne les relations humaines les plus élevées et sont pratiquement unanimes La plupart des études en psychologie qui procréer et de célébrer la naissance d'un enfant est les plus grands avantages du mariage, comme à travers un changement dans les rôles du couple qui se passe, jeté sur eux le fardeau de la notion de parentalité, et sous la pression culturelle commence à absorber leur rôles sans

préparation, ou de soin de se rappeler, entraînant un stress et la pression des grands et des responsabilités croissantes sapent l'intégrité des rôles conjugaux, qui a plus ou moins d'incidence sur la deuxième phase de l'âge de propriétés de mariage, qui ouvre la porte à des possibilités déséquilibre et de conflit matrimonial .

مـدخـل:

تمثل الأسرة الشكل الأمثل للمجتمع البشري، وهي المؤسسة الأولى والوحيدة التي ينمو فيها الفرد ويتفرد في خصائصه ويتشرب قيمه وأفكاره واتجاهاته من خلال التواصل الإيجابي والعلاقات الإنسانية والاجتماعية الراقية، التي تربط بين أفرادها، وبدونها لا يمكن أن تنمو وتنضج هوية الفرد وبنائه النفسي بشكل سليم.

وتبدأ الأسرة بعلاقة تعد الأقوى في حياة الإنسان، وهي الزواج الذي يعتبر الرابطة التي استحوذت على اهتمام علماء النفس والاجتماع عبر العصور لفهم أغوارها، وتوطيد أواصرها والحفاظ على مكتسباتها.

وقد تأثرت الأسرة بصورة عامة بالتغيرات التاريخية الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية التي مرت على المجتمعات في مختلف أنحاء العالم، فتغير بناؤها، أو تقلصت وظائفها، إلا أن الأسرة بمعناها الضيق والمحدود، والتي أصَل على تسميتها الأسرة النواة ظلت مصدر التناسل ومصدر الرعاية الأولية المباشرة(أحمد أبو أسعد، سامي الختاتنة، 2011، 39).

1. تعريف الزواج:

يمثلالزواجقنطرة عبور بين احتياجات المجتمع لكي يحافظ على كيانه واحتياجات الأفراد لتحقيق ذواتهم، وهو بناء تأسيسي لإشباع توقعات كل من الفرد والمجتمع، وهو أحد الشعائر المهمة للعبور من تبعية الطفولة إلى الحرية والمسؤولية المميزة للشخص الراشد (محمد عبد الرحمان، 1988، 11).

يعد الزواج تمثيلا صريحا لمعنى الأمومة والأبوة، فترغب الفتاة في أن تكون أمَا ترعى أبناءها وتغمرهم بحنوها ودفئها ورعايتها، وتعتني بهم صحيا ونفسيا وتربويا، ويرغب الرجل في القيام بدور الأب، وقيام الأبناء لاحقا كل بدوره، كما أن التزام كل طرف بدوره مع المشاركة باتخاذ القرارات الأسرية مما يولد أسرة سليمة في المجالات جميعا، وقد تزايد الاهتمام بالمشاركة بعد خروج المرأة من البيت لتسهم في اتخاذ القرارات المتعلقة بالأسرة بعد أن أصبحت منتجة(أسماء رزق،15،2007).

وقدأشارت بعض الدراسات إلى أن رغبة الزوجين في الإنجاب رغبة طبيعية عند الذكر والأنثى، وتدل على نضج شخصيتهما ونشأتهما في بيت صالح ومستقر، وتدل أيضا على رغبتهما في الاستمرار في الزواج وتكوين أسرة، فالزواج نظام اجتماعي مقبول يجمع بين الرجل والمرأة في دور الزوج والزوجة بهدف الإشباع الجنسي والإنجاب وتربية الأطفال (إبراهيم مرسي، 1995، 25). وبهذا يعتبر الزواج المشروع الأولي لبناء أسرة والتي يكتمل شكلها بميلاد أول الأطفال، فيتغير دور الزوجين بشكل واضح ويتراكم، مما يعطي للحياة الزوجية سيرورة ذات مراحل نوضحها في ما يلي.

2. مراحل الحياة الزوجية:

تمر الحياة الزواجية بمجموعة من المراحل بين مد وجزر، ولذلك افترض **بيري ووليمز** نموذجا تطوريا لمسار الزواج، ويبين هذا المسار فترات السعادة والإرهاق المفترضة:

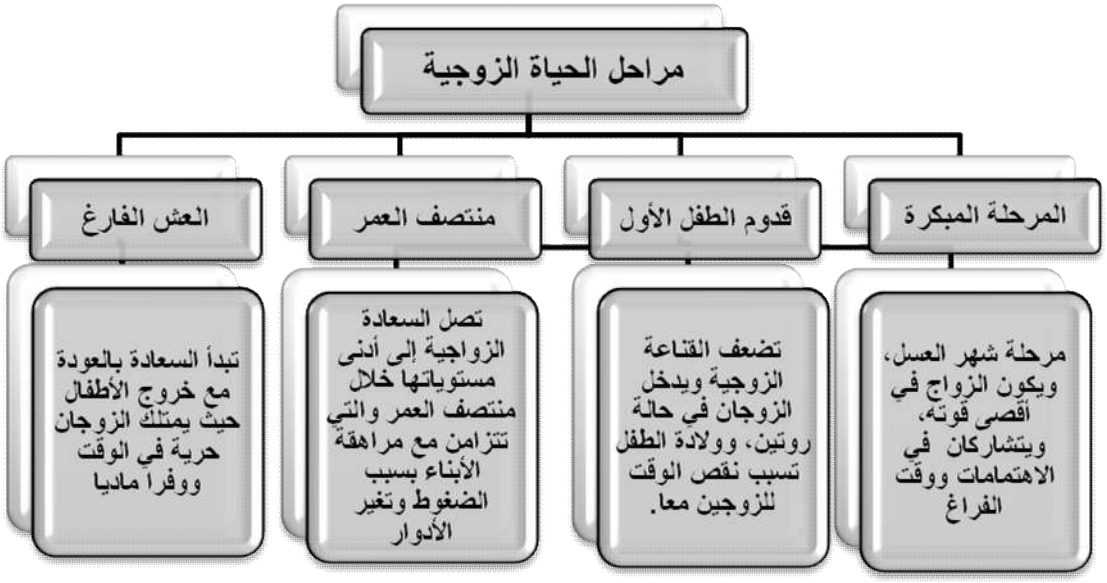

شكل يوضح تطور مسار الزواج لبيري ووليمز عن (أحمد أبو أسعد، سامي الختاتنة، 2011، 34)

3. ميلاد الطفل الأول.... الانتقال إلى الأبوية:

من المعروف أن الإنجاب غاية رئيسية من غايات الزواج و به تشتد أواصر القربى والعلاقة بين الزوجين، ويزداد التقارب والحب بينهما، حيث يساهم في تحقيق توافقهما النفسي والزواجي. فالأطفال ثمرة لقاء مشبع وحب متبادل وترقب مشترك، ورغم ضعف إمكانات الطفل الصغير الجسمية والإدراكية إلا أنه يقوي علاقة والديه ببعضهما، ويشبع دافعي الأمومة والأبوة لديهما. فمع وجود الأطفال يشعر الزوجان أن ارتباطهما غدا أكثر عمقا ومعنى فيجعل ذلك كلا من الزوجين يخففان من حدة أي توتر يشوب علاقتهما الزوجية ويحاولان حل المشكلات وتضييق هوة الخلافات بينهما (دياباأبو الفتوح، 1986، 40).

و قدوم الطفل الأول في الأسرة يحمل في طياته تغيرا وظيفيا طبيعيا في أدوار كل من الزوج والزوجة، وهي الأدوار المأمولة والإنجاز المرتقب الذي يأذن بدخول المرحلة الثانية من دورة الحياة الزوجية. وتكون تجربة الأبوة والأمومة غالبا تجربة مبهجة، فبالنسبة للزوجة التي تتحول إلى أم بميلاد أول طفل تشعر بالفخر لأنها نجحت في تأكيد كيانها بانتقالها إلى عهد

الأمومة وتوجه الأنظار إليها وإحاطتها بالعناية والتقدير، وهو الأمر الذي تتطلع إليه كل زوجة لتضمن استقرار زواجها.

أما بالنسبة للزوج فإن ظهور أول طفل إشارة إلى استمرار نسله واسمه، وعلى الرغم أن دوره لا يتغير بمقدار تغير دور الزوجة، إلا أن العامل المادي يشكل المظهر الأساسي في تغير دور الأب، الذي يمتد عطاءه من الطفل إلى الزوجة والتي تنال في هذا الوقت أكبر قدر من اهتمامه.

فالإنجاب يحقق التقارب والحب بين الزوجين، وينشئ رابطة عميقة بينهما، ويساهم في تحقيق التوافق النفسي والزواجي، ومما لا شك فيه أن وجود الأطفال يجعل كلا الزوجين حريصا على التخفيف من حدة أية توترات تنشأ بينهما، ويحاولان حل المشكلات، وتضييق هوة الخلافات بينهما(أسماء رزق، 2007، 29).

وتؤكد الدراسات أن قدوم طفل جديد يعني تغيرا في أدوار الزوجين وتغيرا في جودة العلاقات الزوجية

ففي دراسة قام بها كل من والاس باملا وجوتليب لان سنة (1990) عن التغيرات التي تطرأ على التوافق الزواجي التي تلي مجيء الطفل الأول أظهرت النتائج أنه قد وصل كلا من الأزواج والزوجات إلى ذروة التوافق الزواجي في فترة الشهر الأول اللاحق للوضع، وأظهرت النتائج هبوطا خطيرا في التوافق الزواجي في فترة الشهر السادس اللاحق للوضع(بلقيس جباري، 2003، 74).

فعلى الرغم من أن الشق الأول من هذه الدراسة يؤكد ما تم عرضه سابقا، إلا أن الشق الشاني ينبئ بأعباء تمثل حملا يثقل كاهل الحياة الزوجية، فهل يمكن أن تكون الأبوة و الأمومة كأدوار جديدة مصدرا للصراع الزواجي؟

4. أعبـاء الانتقـال إلى المرحلة الوالدية:

إن الناظر إلى الأبوة من زاوية أخرى يمكنه أن يرى وطأة الأبوة وزيادة الحمل كما أكثر مما هو متعارف عليه في باقي الأدوار الأخرى التي يضطلع بها الأزواج، وقد وضحت لنا **أليس**

روسي (Alice Rossi) في سناء الخولي (2011) هذا التغير في الدور بالنسبة للزوج والزوجة الذي يحدثه التحول إلى الوالدية وذلك كما يلي:

أولا: إن هناك بالنسبة للنساء ما يعرف بالضغط الثقافي من أجل استيعاب الدور في الوقت الذي تكون فيه للرجال حرية ليست كبيرة من الاختيار، وخاصة إذا اتصل هذا الاختيار بالعمل، ذلك أن الضغط الثقافي بالنسبة للمرأة الشابة يتمثل في النظر إلى الأمومة على أنها مسألة مهمة من أجل تحقيق فرديتها وضمان مركزها كأنثى بالغة، وجدير بالذكر أن هذا الضغط الثقافي ربما تضاءل في هذه الأيام بسبب الانخفاض المستمر في معدل المواليد والرغبة في الوصول بالنمو السكاني إلى نقطة الصفر، وكذلك إعطاء مزيد من الاهتمام بالعائلات أو الأسر ذات الطفلين فقط.

ثانيا: يبدو أن الدور الأبوي ليس دائما مسألة قرار طوعي أو اختياري فعلى خلاف الخطبة، فإن الحمل يمكن أن يكون نتيجة غير مقصودة للفعل الجنسي الذي يمارس باعتباره مصدرا من مصادر اللذة أو السعادة لا باعتباره مؤديا إلى الإنجاب، والحمل كذلك يختلف عن الخطبة في أن نهايته ليست مرتبطة بنوع من الجزاءات الاجتماعية. أي أن يتوقف على إجراءات معروفة في تقاليد المجتمع وقيمه.

ثالثا: الدور الأبوي فضلا عن ذلك مصير محتوم فأن يكون لك طفل هو دائما وببساطة أن يكون لك طفل! ذلك أنه من الممكن أن يكون للمرء زوجات أو أزواج سابقين. كذلك يمكن أن يكون المرء قد عمل في مهن كثيرة قبل مهنته الحالية، إلا أنه من المستحيل أن يكون له أطفال سابقين، وما أن يخرج الطفل إلى الوجود فهناك احتمال ضئيل جدا في ألا يتحمل الأب أو الأم الدور الأبوي أو الأمومي إلا في الحالات النادرة التي يوضع الطفل فيها في ملجأ أو يتم التنازل عنه لتتبناه أسرة أخرى.

رابعا: يلاحظ أن هناك اهتماما قليلا في فترة ما قبل الولادة بالإعداد للدور الأبوي، ذلك أنه من الملاحظ أن هناك مقاومة لهذا التحول، كما أن هناك نقصا واضحا في التوجيه لبلوغ هذا الدور والقيام به بنجاح وترجع **روسي** هذا إلى أن النظام التعليمي يهتم في كثير من فقراته

بالتركيز على العلم والرياضيات، وغير ذلك. بينما لا توجه عناية تذكر إلى الموضوعات المتعلقة بالعلاقات الأسرية أو الجنسية، أو تدبير المنزل أو رعاية الطفل، وإذا قارنا فترة الحمل بفترة الخطبة التي تسبق الزواج فإن الخطيبين تسنح لهما كثير من الفرص للمشاركة في الخبرات الاجتماعية، وربما بعض الخبرات الجنسية المبدئية الأمر الذي يعتبر إعدادا لزواجهما، في الوقت الذي لا تحظى فيه فترة الحمل بنفس القدر من الخبرة للإعداد للدور الأبوي اللاحق، الأمر الذي يؤثر بشكل أو بآخر على خصائص مرحلة البلوغ عندما يبلغها الطفل فيما بعد.

5. تأثير الانتقال إلى الوالدية على نشوء الصراع الزواجي:

تزداد الألفة والمودة بين الزوجين كلما كان هناك وضوح في أدوار كل منهما، واتفاق حول توقعات كل منهما من الشريك، وهذا يستدعي أن يعد كل منهما نفسه بعد الزواج لنمط جديد من الحياة، بما فيه من متطلبات والتزامات نحو الشريك وتغيير للقيم والاتجاهات المتعلقة بطبيعة الدور الذي يلعبه كل من الزوج والزوجة، فإذا كان الزوج يعتقد بأن له مكانة أعلى في الأسرة فإنه سيتصرف عند أدائه لدوره على هذا الأساس، وإذا حدث وكانت لدى زوجته القناعة نفسها فإنها ستتقبل الدور الذي تبناه زوجها وتتصرف بناء عليه (Russell,1994,54)

وعلى الرغم من أن المتزوجين ينظرون للأطفال بأنهم هبة ونعمة لا تقدر بثمن، إلا أن أعباء التربية ومسؤوليات التنشئة الاجتماعية، وتكاليف الرعاية الصحية، والمدرسية تشكل ضغطا يسهم في تدهور العلاقة الزوجية، وتحول أشكال التواصل العاطفي إلى صراع على تربية الأبناء، وحل مشكلاتهم، وهو ما تؤيده دراسة **والاس وجوتليب (Wallace,Gotlib,1990)** حيث أن تحول الزوج والزوجة إلى دور الأب والأم يمكن أن يؤثر سلبا على التوافق الزواجي في هذه الفترة الانتقالية، فمن خلال دراسة على (97) زوجا وزوجة، اتضح أن الحمل وقدوم طفل جديد، وإدراك الأب والأم للمسؤولية الجديدة يمكن أن يؤثر سلبا على التوافق الزواجي، أو جودة الزواج، فقد يؤدي ذلك إلى زيادة الخلافات

والصراعات، والمسؤوليات الزوجية، ويقل وصف الزوجين لحبهما، ويزداد حديثهما عن تحمل المسؤولية.

وبهذا يبدأ الاختلاف حول الأمور التي تتعلق بالأبناء وتوزيع الأدوار بينهما فقد يرفض أحد الزوجين التقسيم التقليدي للعمل بينهما بحيث تختص الزوجة بالرعاية الجسمية والصحية والغذائية للطفل، بينما يختص الزوج بالجانب المادي وخاصة إذا كانت الزوجة تعمل (عبد المعطي إسماعيل، 1986،6)

ومع مرور الوقت ونمو الأطفال وزيادة عددهم تنشأ خلافات على درجة كبيرة من الأهمية متعلقة بأساليب تربية الأطفال وتوجيههم وتلبية حاجاتهم. إذ تؤكد العديد من الدراسات منها دراسة (**Mahoney, etal,1997**)أن الاختلاف على أساليب تربية الأطفال يمكن أن يؤدي إلى زيادة الصراعات الأسرية وانخفاض مستوى التوافق الزواجي، كما يؤدي إلى ظهور المشكلات السلوكية لدى هؤلاء الأطفال.

كما يؤكد في نفس السياق **هارلي** (Harley,1998) على أن مقومات التوافق الزواجي تتوقف على النظرة إلى إنجاب الأطفال وأسلوب تربيتهم، ودرجة الميل إلى الإدارة المنزلية والاهتمام بالحياة المنزلية.

و مع التقدم في تقمص دور الوالدية تزداد الأعباء والمسؤوليات وبشكل خاص على الأم التي تتحمل مستلزمات رعاية الطفل منذ البداية، بالإضافة إلى أعمالها المنزلية الروتينية، وتتذبذب ساعات نومها، ويندر أن تحصل على أوقات فراغ لممارسة هواية أو ترفيه، في المقابل فإن الأب كذلك و إن كانت لا تمسه التغيرات بنفس درجة الأم، إلا أنه يتحمل التكاليف المادية الجديدة، وتقلص الأوقات التي كان يقضيها مع زوجته، وما كان يحصل عليه من اهتمام منها، وتبادل للأفكار والتعبير العاطفي وممارسة الأنشطة الترفيهية المشتركة. يجعل من دور الأبوة مدخلا لمتاعب لم يتم الاستعداد لها.

خاتمة:

يتبين مما يسبق كيف يمكن أن يكون لمرحلة تطورية إيجابية في الحياة الزوجية أن تصبح منشأ للصراع الزواجي قد يؤدي إلى القضاء على مشاعر الحب والرضا في العلاقة بين الزوجين، وعليه فإن توفر الحد الأدنى من المكتسبات المعرفية حول إدارة دفة الحياة الزوجية والعناية بالأطفال والأساليب التربوية الناجعة في التربية، مع قدر كاف من تحمل المسؤولية، وتقبل الحوار يمكن أن يساعد على خلق إطار عام للتعامل مع المشكلات التي تطرأ على الحياة الزوجية، ويحفظ لكل طرف إمكانية إشباع رغباته وتحقيق أهدافه من الزواج.

المراجع:

- إبراهيم مرسي(1995): العلاقة الزوجية والصحة النفسية، دار القلم ، الكويت.
- أحمد أبو أسعد، سامي الختاتنة (2011): سيكولوجية المشكلات الأسرية، دار الميسرة، عمان.
- أسماء رزق (2007): علاقة التوافق الزواجي بالمهارات الزواجية وبعض المتغيرات الديمغرافية، رسالة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة الأردنية، الأردن.
- بلقيس جباري (2003):التوافق الزواجي وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية والصحة النفسية للأبناء، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، صنعاء.
- دياب أبو الفتوح (1986):عدم قدرة الزوجة على الإنجاب وتوافقها النفسي،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق، القاهرة.
- سناء الخولي (2008): الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- صالح الداهري (2008):الإرشاد الزواجي والأسري، دار صفاء، عمان.
- عبد المعطي اسماعيل (1986): توقعات الزواج قبل الزواج وبعده وعلاقتها بالتوافق الزواجي، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة عين شمس، القاهرة.
- محمد عبد الرحمان (1998): إسهامات الزواج في تحقيق التوافق النفسي لكل من الرجل والمرأة مجلة دراسات في الصحة النفسية، ج1، دار قباء، القاهرة.

- Harley, F(1998): His Needs For A Life Time Of Love, Marriage Builders, INC book store.
- Russell, J.H.(1994):Personality and quality of marriage, Journal of Marriage And Family,Vo.56

- Wallace PM & Goltib I (1990): Marital adjustment during the transition to Parenthood Stability and Predictors of change, Journal of Marriage & Family vol 52, 21-33.